الفرق بين تربيتنا

وتربية اهل الغرب (١)

يا سيداتي

كنت أتحامى منذ سنين ان أقف هذا الموقف على منبر المجمع العلمي لاحدثكن كما حدثت الرجال عشرات من المرات باحاديث تاريخية واجتماعية وأدبية . ذلك — لاني كنت أفضل ان تتولين بانفسكن محاضراتكن لعلمي بان السيدات أعرف بما يصلحهن من الرجال يستطعن الوقوف على الروح النافع في ثقافتهن ، ومع هذا فقد اكتفيت في باديء الامر بمن رجوته من شيوخ اعضاء المجمع وغيرهم ان يحاضرن الحين بعد الآخر ببعض ما يروقكن من الموضوعات وأسفت ولا أزال آسفاً لانه قلّ منكن الآنسات والعقائل اللائي تفضلن فألقين على مسامعكن محاضرات على مثال محاضرات الرجال . وقد وعدني هذه المرة معظم إخواني أعضاء المجمع بان يتولوا بعد الآن القاء محاضرات عليكن منوعة الأساليب بحسب اختصاص كل واحد منهم واعترفوا معي بانهم قصروا بخدمتكن في السنين السالفة فخصروا وكدهم في محاضرات الرجال وكان الاولى ان تقسم هذه العناية بين الجنسين . وعسانا لا نقصر في هذه السبيل وأعود فألح ان يتقدم بعض فضليات السيدات لالقاء الافكار التي يرين فيها فائدة لجنسهن اللطيف . والمجمع مستعد بان يفسح لهن المجال ليقلن ما شئن من الموضوعات الادبية والاجتماعية والاقتصادية والبيتية ليساعدن بنات جنسهن على النهوض والترقي وهذا فرض على أعناقهن لا يقوم به سواهن .

مما أخر الشرق ان المرأة لم ينظر اليها نظر العناية الا في العصور الاسلامية الراقية . فلما انحطت الامة عادت المرأة الشرقية سيرتها الجاهلية الاولى وغمطت حقها من الحياة الراقية ولم تعد لها ادنى مشاركة في الاعمال العقلية . وبذلك زاد المجتمع الاسلامي

---

(١) من محاضرة للسيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي ووزير معارف دولة سورية القاها على السيدات في ردهة المجمع يوم الجمعة في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٨ م ١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

انحطاطاً لان نصف اعضاء المجتمع وهم النساء لم يربين التربية الاجتماعية اللازمة . حقاً ان الشريعة السمحة اذا اعطت المرأة حقوقاً ترفع من شأنها فان القائمين على تنفيذ الشرائع وهم الرجال لم يضعوا المرأة في المكان اللائق بها حتى آل الامر لان يعتقد كثير من المغفلين ان النساء اداة من ادوات البيت تستخدم في بعض الأغراض والأهواء وليس لها وظيفة غير ذلك . تشرى وتباع بحسب رغبة الرجل وارادته فقط تعطى وتمنع على الهوى .

وكأن ارادة المولى تعلقت ان تبدو شعلة ترقي المرأة من بلاد الغرب بعد ان اشرقت زمناً طويلاً في هذا الشرق فأخذ البنات يتعلمن كالفتيان ومضت الأجيال والمرأة تنافس الرجل هناك في التعلم والعمل حتى استرجعت بعض حقوقها المهضومة وفاقت الرجال في كثير من الأعمال بقدر ما تسمح لها حالتها ووقتها وطبيعتها .

واذ قد اصبح الغرب مدرسة العالم كله وكانت مدنيته ارقى المدنيات دعتنا الحاجة المبرمة لان نقتبس منه كل ما قام به امره واستقامت رغائبه بقدر ما ينطبق مع عاداتنا وتقاليدنا ويتلاءم مع هوائنا وسمائنا . ولكل أمة مقدساتها ومشخصاتها اذا زهدت فيها تذهب مسحة كمالها وجمالها .

حقيقة ان المرأة مقصرة في هذه البلاد عن بلوغ شأو النساء في الامم الراقية اليوم قصوراً مخجلاً كان علة العلل في وضعنا بكل نقص ورمينا بكل كبيرة ولكن الذنب ذنب الرجال لا ذنبها . هي ضعيفة واغتصبها القوي حقها ونظر اليها غير نظر الغربي للنساء بل غير نظر الاسلام اليها ولكن هذا التقصير يجب ان يداوى وهذا النقص يجب ان يسار به نحو الكمال .

ولم ار في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

تعرفت في الشهر الماضي في القطار من بروكسل الى باريز بآنسة في نحو الثلاثين من عمرها وهي ابنة احد اساتذة جامعات البلجيك ومن اعضاء مجمعها العلمي فذكرت خلال الحديث اسفها لكونها لم تتعلم التعليم العالي لان اباها لا يقول بتعليم النساء العلوم العالية بل ان يقتصر في تعليمهن على التعليم الابتدائي علماً منه بان الاخذ في العلوم العالية من الامور البديهية التي لا يحتاج تحقيقها الى مناقشة فكيف يقول والدها بغير هذا القول ومكانته مكانته من العلم والتجارب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقلت للسيدة ان اباها على حق في رأيه لانه شاهد اقبال النساء في بلادكم على تلقف العلم العالي فخاف ان يؤدي الحال بالنساء لان يخرجن عن المنزلة التي وضعتهن فيها الفطرة او الطبيعة لان للمرأة واجبات شاقة غير واجبات الرجل ربما اخرجهـا التعليم العالي اذا كثر الاقبال عليه عن القيام بها وصرف وجهتها الى مواطن أخرى من الحياة تقل فيها الفائدة ويظهر العجز . وهناك تتزعزع اركان المجتمع وتنهار دعائم المدنية والقومية .

ولكن هذا الكلام اذا صح عن بلاد البلجيك وليس فيهـا من لا يقرأ ولا يكتب من الرجال والنساء فلا يصدق على هذا الشرق القريب وقلّ فيـه جداً عدد المتعلمات ومن درسن العلوم العالية اندر من الكبريت الأحمر ولا اثر لهن . فاذا كان الافراط في تعليم المرأة العلوم المختلفة العالية اصبح شيئاً مرغوباً عنه في ارقى بلاد الغرب وهو الصواب فان التفريط في عدم تهذيب المرأة حتى التهذيب البسيط شيء مرغوب فيه كل الرغبة . والشيء يرتفع ثمنه لندرته ويرخص في القيم وتزهد فيه النفس اذا زاد عن الحاجة عدده فابتذل .

الحياة ميدان جهاد بين الناس لا يختلف فيه ذكر عن أنثى ولا اسود عن ابيض ولذلك رأينا الغرب لما تمت ادوات ترقيـه قامت المرأة تغالب الرجل فتغلبه او تكاد . لانها نافسته في المعامل وفي المخازن وفي الحقول وفي الاستخدام فمعظم الفنادق والمطاعم والمقاهي والاندية والمصارف وبيوت التجارة هي بايدي النساء نافسن فيهـا الرجل فغلبنه وجدلنه بل اخذن ينافسن الرجل في المستشفيات من تمريض وتطبيب وفي المعامل الكيماوية بل وفي التأليف والصحافة والكتابة والمحاماة والحساب . فتآليف النساء في الغرب كثيرة جداً وكلامهن في النظم والنثر مقبول اكثر من كلام الرجال والمحاميات عن قضايا الناس موفقات ببلاغتهن وجربذتهن اكثر من الرجال والصحافيات نافذات الكلم مؤثرات في الاحزاب والنواب ، وبلغ بهن الترقي هناك ان كان منهن النساء الطيارات والغواصات وما ادري اي صنعة من الصنائع في الغرب لم تشارك فيها المرأة الرجل ولم تسر معه جنباً الى جنب سير المثيل للمثيل .

بل ان السيدات في بعض البلاد قد نلن حقوقهن في النيابة عن أممهن وقمن بهذا الواجب على مايقتضيه وما زلن مجدات ليأخذن جميع حقوقهن التي سلبها الرجل منهن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بقوته منذ الازمان الهمجية الاولى . وانتهز الرجل فرصة جهل المرأة فاشتط في اغتصابه حق غيره وادعى الارجحية والاولية . شأن القوي مع الضعيف في كل عصر ومصر .

اذا عرفنا كل هذا فمن الحق ان يقال ان المرأة الغربية ظلت قروناً وهي تقاوم الرجل في نيل حقوقها ولم يتيسر لها بلوغ هذا المبلغ من الترقي حتى جاءت عدة بطون كان كل بطن ارقى من سالفه فاذا رأينا نحن ابناء هذا العصر نهضة المرأة الغربية وما يصدر عنها من اعمال عظيمة لا ينبغي ان تأخذ منا الدهشة مأخذها وان نذهب الى ان هذا مما تم على ايسر حال وما هو في الواقع الا ابن الأجيال الطوال . فقد سئل احد رؤساء الجامعات في اميركا ماهذا الذي وصلتم اليه من درجات المدنية فأجابه انه نتيجة بضعة بطون ارتقت كان كل بطن يأتي اقدر ممن سبقه وهكذا حتى تكونت جراثيم الترقي على ما رأينا في هذا العصر فمدنيتنا مجموعة جهود وعمل بطون كثيرة في شتى القرون .

من طبعنا معاشر الشرقيين ان نتطلب في الحال إتمام العمل على اي صورة كانت من النقص الظاهر ومن طبع الغربيين ان يتموا العمل على ما يجب ان يكون . ولذلك نرى كل يوم الفرق بين صناعاتنا وصناعاتهم وعلومنا وعلومهم واعمالنا واعمالهم وان الاختلاف بين الشرقيين والغربيين بعيد يكاد يكون على مثال المسافة المحسوسة بين المشرقين والمغربين . نعم من طبعنا ان نتعجل الشيء قبل اوانه ومن تطلب الشيء قبل اوانه عوقب بحرمانه .

فالمرأة الغربية كما قلنا هي في تمدنها هذا ابنة قرون طويلة ونحن اذا جئنا نقلدها في كل شيء نخطيء خطأ شديداً لان المرأة هناك جرت على سنة النشوء والتكامل . وبديهي اننا لا نستطيع ان نرتجل تربية خاصة لامة نرى الفرق محسوساً بين عقليتها وعقلية غيرها . نحن الآن نحتاج الى ان نأخذ من اوربا في تربية نسائنا ان يكنّ على شيء من الصبر والثبات اولاً وان يتعلم ما امكن جميع النساء التعليم الابتدائي وقليل منهن يتعلمن بحكم الطبيعة والحاجة التعليم الاوسط او العالي وان تعمل كل امرأة واجبها نحو ابيها وأمها وزوجها واولادها . ولكن الوصول الى هذه الدرجة نحتاج الى ان نعمل له ثلاثين سنة أخرى على الاقل وان تقوم الطبقة المثلى منكن تجتمع وتفكر وتقدر وتقرر وتنفذ فما حك جسمك مثل ظفرك . نعم يجب اعتماد النساء في نهوضهن على عملهن الخاص واجتهاد افراد منهن فقد تركن الحبل على الغارب واتكلن على الرجل في كل شيء فأصبح الاتكال لمن خلقا انسن به ولم يعدن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بتكرنه فضاعت مع الزمن بعض مزايا كانت مغروسة في بنات حواء واصبحت وظائفهن محصورة في دائرة ضيقة وتزيد ضيقاً كلما كان الرجال يجورون عليها ويحط المجتمع حتى بلغ ضعف العقول في الرجال ان اسقطوا انفسهم واسقطوا معهم شركاء حياتهم بتحكمهم البارد وآرائهم التي لا مبرر لها من شرع وعقل .

اعود فأقول ان في المدنية الاوربية ياسيداتي عيوباً كما فيها حسنات فحسناتها اكثر من ان تعد ولكن لما كانت هذه المدنية اميل الى الماديات جاءت فيها نقائص ارجو ان لانقتبسها ولا ان نأخذها بدون قيد ولاشرط فقد طغت الفضائل في قلبها بكثرة اختلاط الجنسين في المعامل والمصانع والمحال العامة ففسد نظام الأسرة وقل النسل . وعلماء الاجتماع والاخلاق في اوربا واميركا اليوم ينادون بالويل والثبور ويحاذرون مما اصاب المجتمع الغربي ويصيبه بسبب هذا النقص والرجاء معقود ان لا تدخل الينا هذه العادات التي ماانسولت على أمة الا وافسدت نظامها وقربت اوان انحلالها .

فالواجب على مجتمعنا اذاً ان يأخذ عن الغرب ماينطبق مع تقاليده وعاداته في الجملة يأخذ النقاوة ويرمي بالنفاوة . ولاينقيد كل هذه القيود ولاينفلت كما هوالحال هناك من كل قيد ، ومن العادات ما لودخل في مجتمعنا لزاد شره المستطير اضعافاً ، وتعجبني ابيات حافظ ابراهيم في الحجاب وفيها التوسط المقبول المعقول :

انا لا اقول دعوا النساء سوافراً ... بين الرجال يجلن في الاسواق
يدرجن حيث اردن لا من وازع ... يحذرن رقبته ولا من واقي
يفعلن افعال الرجال لواهياً ... عن واجبات نواعس الأحداق
في دورهن شؤونهن كثيرة ... كشؤون رب السيف والمزراق
كلا ولا ادعوكم ان تسرفوا ... في الحجب والتضييق والارهاق
ليست نساؤكم حلىً وجواهراً ... خوف الضياع نصان في الاحقاق
ليست نساوكم اثاثاً يقتنى ... في الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الازمان في ادوارها ... دولاً وهن على الجمود بواقي
فتوسطوا في الحالتين وانصفوا ... فالشر في التقييد والاطلاق
ربوا البنات على الفضيلة انها ... في الموقفين لهن خير وثاق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعليكمو ان تستبين بناتكم نور الهدى وعلى الحياء الباقي

نعم ياسيداتي خيرالامور الوسط والواجب على كل رجل وعلى كل امرأة ان يقوم بواجبه على مايجب وبقدر مايجب في الحين الذي يجب ولن يجعل نصب عينيه اولاً الغرض الاسمى من التمدن . فالعفة كنز ثمين يرجو كل عاقل ان لا يسلب منا ، فقد اتفق لنا في الادوار السالفة والخالفة ان كنا من العفاف على جانب تحسدنا عليه الامم وكنا متمدنين عاملين ولنا دول خضع لسلطانها اهم اجزاء العالم وكنا حملة العلم والآداب ودعاة فضائل واعمال . وكان من نسائنا المجاهدات والممرضات والعالمات والمحدثات والمقرئات والاديبات وكن يشاركن في كل خير فقد رأينا قسماً مهماً من مدارس دمشق القديمة من وقف ربات الخير من النساء فلو لم تكن لهن ثقافة عالية هل كن يفكرن في مثل هذه المبرات ؟ .

ليس في الاديان السماوية كلها مايعوقنا عن المضي في سبيل التعليم والتربية وهذه اول درجة في سلم ارتقاء البشر فنحن في نهوضنا لانلام اذا طبقنا النقل على العقل وشريعة هذا السواد الاعظم في ديارنا مرنة تطبق في كل عصر ومصر اذا كانت ايدي القائمين بالامر رشيدة حاذقة بعيدة عن الجمود والجهل المميت . قلت في محاضرة الاسبوع الفائت ان سر مدنية الغرب دؤوب دام قروناً مطرد الاوائل بالاواخر ونظام نافذ لا يرحم من لايعمل ولا يبقي على جاهل وضعيف . الغربي يحتفظ بالقديم ويتهالك في اقتباس الحديث . والشرقي جمد على قديمه وقلما تحدثه نفسه ان يأخذ الحديث الا بحيطة شديدة وبطء مؤسف حتى بلغ به ضعف المدارك ان اصبح يجادل في البديهيات من غير استحياء واذا جئت تنظر في الهم والمضاء بين الشرقي والغربي فهناك جماع فضائل الغربي وهناك ينقطع الشرقي ويتفاوت البون بين الخلقين والجيلين .

هناك يفنى الفرد في المجموع وهنا يعبث الفرد بالمجموع وبحق ماقال بعضهم الغرب هو التسلط على الطبيعة بالعمل ، والشرق هو استثمار الانسان للانسان وقد جود حافظ في التنظير بيننا وبين الغربيين فقال :

شمسهم غادة عليها حجاب ... فهي شرقية حوتها الخدور
شمسنا غادة ابت ان توارى ... فهي شرقية جلاها السفور
جوهم في تقلب واختلاف ... غير ان الثبات فيهم وفير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جونا اثبت الجواء ولكن ليس فينا على الثبات صبور
ولديهم من الفنون لبـاب ولدينـا من الفنون قشور
فاذا ماسألتني قلت عنهم امة حرة وفرد اسير

كانت الممالك تقوم عندنا بالافراد النـابهين من الحكام اذا ذهبوا انقطعت اعمالهم وممالك الغرب تقوم بالجماعات اذا هلك الفرد لا يكاد يشعر به و يأتي بعـده من يتناول عمله فيتمه ولا يخطر بالبال ان ذلك مما نتأذى به عزة نفسه لانه سار على سنن من تقدمه فالغرب اقرب الى تسلسل الفكر او قل هو اقرب الى القـانون والشرق مضيعة للتسلسل وربيب الفوضى . اذا قيل ان مدنيتي الغرب مادية صرفة لا شأن فيها للمعنويات فمدنية الشرق مغموسة بالمعنويات والشـأن فيها للماديات قليل او هو فيها امر ثانوي لايؤبه له يقال ان ماديات مدنية الغرب اكثر من معنوياتهـا فهذه للاولى تبع ومعنويات المدنية الشرقية اكثر من ماديانها وزادت ضعفاً على ضعفها في العهد الاخير فأصبحت ضئيلة في معنوياتها وماديانها . والماديات السلم الموصل الى بلوغ كل قوة . واي معنويات تبقى لمن تجرد من المادة وهل من غناء للضئيل في المجتمع كالقوي .

ومن الانصاف ان يقال اننا بقدر ما نرى في المدنية الحديثة من فضائل نرى فيها ما يقابلها من رذائل ولكن الفضائل تربو على غيرها كثيراً . فالامثل بقومنـا ان يقتبسوا الخير و يغضوا الطرف عن الشر . ولو عقلنا لما سرنا الا على هذا المنهاج ولتأملنا مليا قبل ان نطرح عاداتنا ونقتبس غيرها . اتت اوربا بهذه المدنيـة الساحرة فانتفعت بعملها الانسانية جمعاء و يغتفر النقص القليل فيها في جنب ذاك الكمال . ولا نقول الكمال المطلق لانه لا يرجى ان يكون في هذا البشر ولا وقع في عصر من عصور التاريخ الذي انتهى الينا .

اخترعت اوربا اموراً خففت بها امراض الانسان . واخترعت اموراً تعجل في ازهاق روح الانسان . ونظنها في الاولى انفع منها في الثانية . اخترعت ادوية قللت من عدد الوفيات كعلاج الجدري والحميات والاوبئة والامراض الزهرية والكزاز (تيتانوس) والخناق والنقرس الحاد . و كثرت بالمدنية امراض السرطان والسل واوجاع القلب والكلى والامراض العصبية والعقليـة . وكان معظم انتشار هذه الامراض من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ازدحام السكان في بقعة واحدة ومن رغبة الفلاحين في مغادرة القرى الى المدن واتخاذها سكناً . فالمدن في الغرب يزيد كل سنة سكانها بمن يهاجر اليها خاصة من القرى لانهم يذهبون الى ان العيش في المدن ارفه واربح .

رأى القرن التاسع عشر البخار والكهرباء ومنهما نشأت اكثر ادوات هذه المدنية الحديثة ، فكان من ابرك القرون على الانسانية . واخترعت امور في الطب والجراحة خففت من ويلات الطواعين والاوبئة والامراض الوافدة ولكن بدأ فيه استعمال المورفين ثم تبعه الكوكايين والهيروين وكل ما فيه داء دفين وكثرت السموم من المشروبات الروحية فأضرت بالعقول والاجسام . ورأى القرن العشرون انواعاً من الاختراعات فعرف الراديوم واخترعت الطيارات والسيارات والغواصات الى غير ذلك مما فيه خير كثير وشر قليل . وليس في العالم خير محض ولا شر محض .

يقول رجال الطب والصحة ان هذه الحياة الشديدة والنشاط المتواصل والحرص الذي استولى على النفوس سيؤدي بالمدنية الحاضرة الى الهلاك ويقضي على العناصر والشعوب وبقلل ايام الحضارة . ذلك لان اهوية المدن مشبعة بالغبار والغازات الضارة وقليل اوكسيجينها . وفي هذا المحيط القذر تكثر الامراض وتنتقل من السقيم الى السليم بسرعة ويكثر الفحش والمسكرات والموبقات . فكأن معظم هذه العيوب خاصة بالبلاد الصناعية . وللصناعة ادواء كما لغيرها من اعمال الناس . وكيف تجود الصحة مثلاً في مدن لم يكتف اهل الغرب ان يبنوا على سطحها بل اخذوا يبنون بيوتهم في جوها . فالبيوت ذات الستين والسبعين طبقة في نيو يورك مثلاً اصبحت من الامور العادية وقد قدروا عدد السكان في كل كيلومتر واحد من هذه المدينة العظيمة فبلغ مائتي الف ساكن . واما البنايات ذات الطبقات العشر في اوربا فهي من السذاجة بحيث لا تحتاج الى بحث ولا نظر ولا توجب دهشة ولا استغراباً .

ثم ان الصناعة في الغرب قللت من رغبة الناس في الزواج لان العاملة لا تستطيع ان تكون ربة بيت وهي تعمل طول نهارها وجزءاً من ليلها في المعمل والمصنع فقلت المواليد في فرنسا اولاً فنزل معدلها في مئة سنة من ٣٥ في الالف الى ١٨ ثم أصيبت بهذا النقص ايضاً بريطانيا العظمى والمانيا وايطاليا والولايات المتحدة ثم اوستراليا ثم سويسرا وهي من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البلاد التي بلغت فيها المدنية ارقى درجاتها . وتعذرت الحياة المرفهة على الناس فأخذ الكثير من اهل المدن لايفكرون في الزواج واذا تزوجوا ارتكبوا كل منكر ليفسدوا طرق التناسل و يصابوا بالعقم على العمر . اعرف عشرات من الرجال المذكورين في مجتمعهم وقد بلغ بعضهم سن اليأس فلم يتزوج اي بلغ الشيخوخة ونحو العشر الآخر أولد اولاداً والتسعة الاعشار الثانية عاش اربابها عقماء . وربما يتبادر الى الذهن ان اهل الغرب اذا تزوج كل من كان منهم في سن الزواج زادوا ضعفين اوثلاثة عما هم الآن . وهذا معقول ولكن أكانت بلادهم تؤويهم وتطعمهم ؟ ام كانوا يهاجرون بحكم الطبيعة الى آسيا وافريقية و يعمرون الاصقاع الغامرة منها . ولعلهم يفعلون ذلك في مستقبل الايام خصوصاً اذا عالجوا مسألة التناسل بعد ان عرفنا ان معظم الامم الاوربية اصبحت لاتزيد مواليدها الا قليلاً .

حدثني الاستاذ مرجليوث ان عدد النساء في انكلترا اليوم يزيد على عدد الرجال مليونين وهذا من المعضلات الكبرى في حياة الانكليز . وانا اقول ان ذلك اخرجهم عما كانوا معروفين به من الصيانة . ولقد كان من المشهور ان انكلترا اقل الامم الغربية الكبرى فساداً واقربها الى الاخلاق الفاضلة ولكن الحرب العامة كشفت الحجاب عما كان مستوراً بعض الشيء وزاد في العهد الاخير سوءاً فأخذت المرأة في انكلترا تستمتع بحرية ما كانت لها وكادت حال البلاد البريطانية تشبه في هذا الباب حال فرنسا والمانيا وايطاليا واميركا .

وبعد فان علة العلل في الشرقي انه لايتعلم صناعة فينقنها بل يقف عند شفير الوادي منها لاتحدثه نفسه ان يخصي فيها اخصاء الغربي وان يرقى بها اعلى القمم . وكل مركز مصنع تطال اليه صاحبه بدون ان يعد ادواته يسقط من حيث يريد الصعود . والتلفيق لايكون كالتحقيق مهما طليته بطلاء ظاهر وحليته بما تراه جميلاً من حلل . واذا الشيء لم يأخذ من نفسك لا تبرز فيه .

وعلى الجملة فان حسنات الغرب في باب العمليات أعود عليه من حسنات الشرق على مايظهر فانها هنا تجمد عند حد الانظار او النظريات .

انتهى المنقول من كلام طويل القيته على الرجال في الاسبوع الماضي . بقي ان اقول ان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السعادة لا تدخل بيوتنا حقيقة الا اذا تعلم النساء وتهذبن التهذيب العصري الممزوج بآدابنا الاصلية وكل شيء موقوف على العلم ، فقد شهدنا اثره في كل بيت وفي كل عمل . ولكم رأينا الفرق محسوساً بين بيت درست ربته بضع سنين في مدرسة بسيطة وبين دار سيدة لم يكتب لها ان شغلت عقلها بالدرس ولا قلبها بالتعلم . عصر الأمية انقضى والامية من أعظم عيوب هذه الديار واول نقص تجب معالجته . و بالامية انتشرت فينا أمراض أقلها مما يهلك أمة باسرها . و بالاميـة ولاسيما بين النساء شقيت أمتنا قروناً فكانت في مؤخرة الامم المنحطة حتى أصبحوا يتهموننا في الغرب ضروب التهم . بل أصبح الرجل منا اذا جرى حديث المرأة الشرقية لا يعرف كيف يتخلص من بحث هذا الموضوع اذ يجد أمامه شوكاً وعوسجاً يصيب رجليه و يديه ووجهه فيرتبك في امره .

سيداتي أخاف ان أسترسل على هذا النحو في محادثتكن وأخاف ان أكرر الحديث لئلا أدخل السآمة على نفوسكن . فالحديث المعاد بارد والكلام في بديهيات المسائل ابرد . ولولا انكن من طبقة الدارسات ومن ربات بيوت معروفة بالعلم والتهذيب لما جسرت ايضاً ان أحدثكن هذا الحديث . وغاية ما يرجوه كل من يحب أمتـه ان يقوم كل فرد بواجبه قولاً وفعلاً ظاهراً و باطناً وبذلك تستقيم أحوالنا .

قرأت امس في كتاب جديد لعالم عربي اغترب كثيراً في بلاد الغرب وقابل بين أمتنا وبين الامم الاخرى نبذة مؤثرة وصف فيها العرب قال : « عرف عنـا نحن العرب انا ميالون الى التطرف في كل شيء ، الى تضحية النفس والى الأنانية الزائدة الى الحب العذري والى التهتك ، الى الصداقة النادرة والى الحقد اللانهاية له ، الى التـأله والى الشغف بالماديات ، الى الديموقراطية الحقة والى عبادة الشخصيات البارزة ، الى الاعتداد بالنفس وشدة الاعتماد عليها ، والى سرعة اليأس والسقوط في القنوط عند اول صعوبة نجدها في طريقنا ، وبعبارة أخرى ان في الامة العربية قوى عظيمة تارة تدفعها الى أشرف الاعمال وطوراً الى أسفلها وأخسها » .

قال وسبب ذلك على مايظهر له ان هذه الامة العظيمة الذكية العاقلة على الاطلاق تعيش وتتمسك بعواطفها القوية اكثر مما تعيش وتتمسك بعقولها وتسير في حياتها واعمالها اليومية بقوة المصالح الشخصية التي لا تترك سبلاً للحصول عليها الا طرقته . هذا تاريخنا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يشهد علينا اننا قوم ذوو ذكاء ومقدرة على الاعمال وذوو نظر بعيد ولكننا سراع التأثر ضعاف قوة التوازن . وسرعان مانقع في اليأس ان اصابتنا مصيبة . وان اصابتنا حسنة اخذتنا سورة الفرح وكدنا نفقد رشدنا . قال وهذا الحكم ينطبق على الافراد والمجموع و يجري على كبيرنا وصغيرنا وعالمنا وجاهلنا الا ماندر .

وانا أقول ان في هذا الحكم القاسي شيئاً من روح الحق والانصاف ، بيد ان هذا الخلق الماثل في كل طبقاتنا لا سبيل الى معالجته الا من طريق الام ، فالام مدرستنا والام مرشدتنا ، والام عمدتنا في نهضتنا ، والام سلوتنا في خلوتنا وجلوتنا ، وعليها نعقد كل الآمال في جميع الاعمال . اما هي فعليها تبعات ومسؤوليات ، واجبها كثير ، وبيدها مفتاح كل خير ، ولو صحت نيتها ان تدفعنا شوطاً الى الامام لكان لها ذلك ، لانها متحكمة في كل شيء ، مؤثرة في المجتمع ، تلبسه متى أحبت الصورة التي تستحسنها فقد قال الرصافي :

ولم أر للخلائق من محل ... يهذبها كحضن الامهات
فحضن الام مدرسة تسامت ... بتربية البنين او البنات
واخلاق الوليد تقاس حسناً ... بأخلاق النساء الوالدات
وليس رديب عالية المزايا ... كمثل رديب سافلة الصفات
وليس النبت ينبت في جنان ... كمثل النبت ينبت في الفلاة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net